

الشيخ عمر عبدالرحمن أكثر من هذا كله...

[بقلم: د. خالد فكرى]

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الشيخ عمر عبدالرحمن مجرد عالم وأستاذ جامعي متخصص في مادة تفسير القرآن الكريم حائز على أعلى الشهادات في تخصصه - فقد كان الأول على دفعته في كلية أصول الدين بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى سنة 1965 ثم حصل على الماجستير تخصص شعبة التفسير بتقدير جيد جدا سنة 1967 ثم العالمية - الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى من كلية أصول الدين شعبة التفسير سنة 1972 .

لم يكن الشيخ عمر عبد الرحمن مجرد داعية إسلامي وخطيب مفوه يتنقل بين مساجد مصر من شمالها إلى جنوبها ويحاضر في الجامعات و قاعات المحاضرات والندبات وحيثما يجتمع الناس فيلقى كلماته وينشر دعوته ويفتي ويعلم ويدرس ويدعو إلى ربه ودينه وإسلامه، فتهتز قلوب السامعين وتتهمر الدموع لصدق بيانه وجزالة خطابه و غزارة علمه وقوة حجته.

لم يكن الشيخ عمر مجرد إمام مسجد ممن يؤثرون السلامة فيحصر نفسه في مسجده أو يعتكف في صومعته ويغفل أو يتغافل عن ما يحدث في الأمة من النكبات والمصائب ،،كلا وألف كلا ، فالشيخ يتابع ويسأل ويتقصى عن كل صغيرة وكبيرة خاصة ما يحدث في تلك البلاد المنكوبة باحتلال الكافرين ،والشيخ لا يهدأ له بال حتى يكون مطلعاً على التفاصيل باحثاً عن أسباب السقوط وأطراف المؤامرات وأوضاع المسلمين هناك واحتياجاتهم وكيف السبيل إليهم وإلى نصرتهم . كان الشيخ حفصه الله ، مسلماً عالمياً بما تعنيه الكلمة ،يتمثل قوله تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) لا يعرف حدوداً تفصل بين المسلمين، يرى بلاد الإسلام كلها أرضاً لدعوته وجهاده ،فتراه ، يتابع الأحداث ويستمتع إلى نشرات الاخبار و يتابع الصحف ويهتم بتفاصيل ما يحدث في أقاصى الأرض، وتعجب أشد العجب من سعة دائرة علاقاته وحجم معارفه فتراه حيث يحل في أي بلد ، لا ينقطع زواره ولا يتوقف الهاتف عن الرنين ، يتصل ويتصلون به من مختلف الأقطار والبلدان ، طلاب علم ومجاهدون ودعاة إصلاح وإسلاميون ، من شتى بقاع الارض ، وقد كتب الله له القبول بين المسلمين من مختلف الجنسيات والأجناس والأعراق .

لم يكن الشيخ عمر ذلك الاستاذ الجامعي والعالم الشرعي المقيد بأبحاثه العلمية النظرية الذي يتطلع إلى كادر الجامعة وسلم الترقيات والعلاوات ،لم تكن الجامعة وبريقها لتمنعه من أداء رسالته التي نذر نفسه لها ،فهاهو يترك الجامعة بل ويترك مصر كلها مسافراً ، لا ليبحث عن عقد عمل في بلاد الخليج وإنما هي أسفار دعوية لله وفي سبيل الله ، يقطع فيها الاف الكيلومترات إلى بلاد الشرق والغرب لنشر الدين وتصحيح المفاهيم ومحاربة البدعة وقمع الفتنة ، وحيثما حل فهو الداعية والشيخ والمحاضر والخطيب والإمام والمفتي والمجاهد، نعم هو المجاهد في سبيل الله ، أعزده الله تعالى بحبيبتيه - فأبى إلا أن يأخذ بالعزيمة ويطلب المعالي ولا يكون مع القاعدين ،واقام الحجة بجهاده على المنحرفين والمبطلين والمتأولين .

الحديث عن الشيخ عمر والجهاد في سبيل الله ،حديث يحتاج الى ساعات وأيام وتكتب فيه الكتب والمقالات ،فالجهاد في سبيل الله مهجة قلبه و لب فكره وركيزة دعوته وقد عاش وقائع احتلال أفغانستان والشيشان والبوسنة وغير ذلك من أحداث ينفطر لها الفؤاد فما كان من الشيخ الجليل إلا أن هب وفرز لنصرة المجاهدين ووقف موقف الرجال الذين صدقوا مع الله ،فهو ينادي ويدعو ويستحث الهمم داعياً للجهاد ضد كل كافر ومحتل ومغتصب وتدوي صرخاته في كل مكان (حي على الجهاد - حي على الجهاد) .

لقد، كان ذلك ديدنه وشعاره و دثاره ،ولم يكن فضيلته من أهل الكلام المعسول الذي يقال لتخدير السامعين وارضائهم ونيل اعجابهم ،ولم يكن فضيلته ممن يقولون ما لا يفعلون بل هودوما أول المتقدمين وطلبة الزاحفين ، ذهب بنفسه وأولاده، الى أرض الوغى إلى باكستان وأفغانستان حيث مظنة الموت والشهادة فضرب بذلك المثل والقوة بالقول والفعل والعمل . ومع مشهد أخر في حياة الشيخ عمر عبد الرحمن ، فقد كان حفظه الله تعالى ، هو الوالد والمربي

الرووف الحنون على اخوانه وأبناءه ، يعيش مع كل واحد كأنه ولده من صلبه، يحنو عليهم يساعدهم يداويهم ببلسم حديثه وخالص دعائه ، يشاركهم أفراحهم وأتراحهم ويغوص في مشاكلهم لم يشعرنا يوماً بتميزه وسابقته وعلو مكانته بل هو الرفيق والصديق والأنيس الذي لا تمل صحبتته، حلو المعشر ، عظيم في خلقه كريم في سجاياه كان قدوته ورائده سيد البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد أشد الجهد ليقفني سنته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

نعم ، كان الشيخ عمر كذلك ، وربما أكثر من ذلك، ولا أذكره على الله فالله حسيبه وهو أعلم بمن اتقى ، ولكنها شهادة عشتها مع هذا الشيخ الجليل سنوات طويلة ، بدأت عام 1981 قبيل أن تفتح السجون المصرية أبوابها فيما عرف بقضية الجهاد الكبرى 1981-1984 . كانت سنوات كرب وبلاء وشدة قابلها الإخوة بصبر ورضا في مواجهة أعتى الأيام وأصعبها . وكان الشيخ على رأس القائمة ، وأترك المحكمة تنقل في حيثيات الحكم (أنه ثبت للمحكمة على درجة القطع واليقين أن المتهم عمر عبد الرحمن عند إدلائه بأقواله بالتحقيقات لم تكن إرادته حرة بل كان واقعا تحت تأثير التعذيب الذي تعرض له في الفترة ما بين القبض عليه 18101981 إلى أن مثل أمام النيابة العسكرية في 4111981 وأمام النيابة العامة بتاريخ 1111981 .

أنه قرر أمام المحقق بالنيابة العسكرية يوم 1981 411 أنه تعرض لضغوط كثيرة تتمثل في وقوفه من الساعة الثانية صباحاً حتى العصر والضرب بعضاً على جسمه وبالكراباج على قدميه وأن المحقق هدده بإحضار زوجته إلى السجن وإحضار الكلاب لنهش جسمه والاعتداء عليه بالسب والقذف وتهديده بهتك عرضه الأمر الذي أوقع الرعب في قلبه وأنه حدثت به إصابات بظهوره وفدومه وقد تمت مناظرة المتهم بالنيابة العسكرية فوجد بظهوره وفخذه آثار كدمات واضحة) نقلاً من حيثيات الحكم في القضية 462 أمن دولة عليا .

تري ماذا يقول شباب الجماعة عن مواقف الشيخ في تلك المحنة ؟
والله لقد كنا حين نراه معنا في سجن الليمان نزداد قوة وصلابة وحين يكلمنا ويذكرنا نزداد ثباتاً وإيماناً وحين نجد دوماً صابراً محتسباً نستشعر معنى الصبر على البلاء وصدق اللجوء إلى الله ، هذا الشيخ الكبير الضريع كم ضرب وشم وأهين وألقي أياماً وأسابيع في زنزين انفرادية هي قبور حجرية لا تسمع فيها حساً ولا تدرك فيها ليلاً أو نهاراً ، وكما ددد في نفسه و أسرته ، فما زاده ذلك إلا ثباتاً ويقيناً كان يقول ويردد علينا آيات الصبر والثبات (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطأوا فاعلوا الخير لعلمكم تغلحون – يكرر علينا قوله تعالى – (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ؟* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) و مع شدة التعذيب الذي يتعرض له لينطق بكلمة تدين أحداً كان يقول (اتحمل واصبر واحتسب ولا أكون سبياً في إيذاء وتعذيب أخ أبداً) ويذكر الأخوة الكرام كيف كان الشيخ في محبسه يتهدج بالقرآن طوال الليل ، فنسمع صوته العذب فكأنها مزمار داود تنزل برداً وسلاماً على المعذبين في أقبية السجون .
في 30 سبتمبر عام 1984 صدرت الأحكام وكان الإفراج والبراءة وخرج الشيخ مرفوع الرأس معزراً مكرماً .

ثم عايشته بعد السجن في فترات متقطعة – بعضها كانت أيام سعة وأمان فإذا هو كما هو أبداً طاقة لا تعرف الهدوء وحركة لا تعرف السكون ودعوة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قد نثر لها حياته ، فكانت همه الأكبر وشغله الشاغل ، كان يوصينا دوماً بوجود التعلم والعمل بإخلاص لله تعالى وأن يحمل كل واحد منا أمر الدعوة إلى الله تعالى ويقول (إن وفقك الله واعتليت منبر الجمعة فهذا فضل عظيم من الله ، فأد حقّه وداوم عليه ولا تتركه أبداً مهما كانت الأسباب) وخلال تلك السنوات الست من 1984 حتى غادر مصر نهائياً سنة 1990 – وضع الشيخ تحت الإقامة الجبرية فحبس في بيته مدة عام ، وتكرر ايداعه السجن لفترات مختلفة والشيخ ثابت في دعوته (رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) . كان الشيخ خارج السجن ، مثلاً وقدوة ومدرسة وبحراً لا ساحل له . لقد كان في جده واجتهاده ومثابرتة وقوة عزمته ما لا يستطيع أحد أن يجاريه أو يلحق به ، كنا ونحن شباباً من حوله نتعب من طول صبره وجلده في العمل ، كنا نقراء له الساعات الطوال من أمهات الكتب فنشعر بالنعاس وتتسلفط الرؤوس وتتأوب القراءة بين يديه ونلتمس منه أن يعزنا ، فلا يكون منه إلا الصمود والاستمرار والعزيمة التي لا تعرف الكلل أبداً ، ننام ونرقد بعد عمل اليوم وكده أما هو فليله مناجاة وصلاة وقيام .-
رهبان بالليل فرسان بالنهار .

ورأيتة في أيام رخاء وسعة وقد عرض عليه من كنوز الدنيا ما تزيغ له الأبصار وتطيش منه العقول و قدم إليه ذهب المعز ليسكت قليلاً وليركن قليلاً وليقول زوراً ولكنه أبى إلا أن يقول –ربي الله لاله إلا هو –(ما عندكم ينفد وما عند الله باق) –كان كالأسد الهصور في تمسكه بالحق وكالجيل الراسخ لا يتزحزح قيد أنملة ، وما كان ليشتري أبداً ، كان يقول : (لو أن 99% من الحق اختلط به 1% من الباطل لأفسده) فوالله الذي لا إله غيره ، ما رأيناه تبدل ولا تغير ولا فتنته الدنيا ولا سقط من علوه ولا أحنى

جبهته يوما لغير الله ولا ترجل يوما عن فرسه ليستريح ولا وضع لامته ليقول قد بذلت وكفاني ما قدمت

فُلله درك أيها الشيخ الجليل لقد اتعبت من معك ومن سيأتي من بعدك .
نعم كان الشيخ عمر كل ذلك ، وربما أكثر من ذلك ولا أزكيه على الله ، ولكنه بكل المقاييس وبمختلف الموازين كان شخصية اسلامية فريدة ، عظيمة ، قيادية ، مؤثرة قل أن يجود الزمان بمثله ، يكفيك لتدرك ذلك أن تتبين طبيعة الرجال الأفاضل الذين كانوا من حوله واجتمعوا عليه في مطلع الثمانينات ، هؤلاء الحهابذة العمالقة أمثال كرم زهدي وعصام درباله وعبود الزمر ومحمد عبد السلام وعلي الشريف وناجح ابراهيم وطلعت فؤاد وعاصم عبد الماجد والدواليبي وأسامة حافظ وحمدى عبدالرحمن ورفاعي طه وعبدالآخر حماد وآخرون وآخرون ، كان فضيلة الشيخ هو إمامهم وواسطة عقدهم ومحل التقدير والتبجيل منهم ، لقد أجمع على احترامه وتقديره والثناء عليه كل من عرف الشيخ واتصل به .
الحديث عن فضيلة الشيخ يطول ويحتاج إلى أن تتضافر الجهود ويستكتب من كانوا حوله في شتى مراحل حياته وجهاده وأسفاره ، وهذا يحتاج إلى فريق عمل يتفرغ لهذا الأمر واعتقد أنه من الأمانة والأهمية بمكان أن تبدأ الجماعة الاسلامية في الإعداد لذلك .
فضيلة الشيخ عمر عبد الرحمن معتقل في امريكا منذ سنة 1993 في تهمة باطلة لا تستوي على ساقين ، أعدت لها محكمة سياسية لاعلاقة لها بالقانون أو العدالة ، كل شهودها هم من العملاء المأجورين الذين اعترفوا بدورهم كاملا وقام القاضي اليهودي بأحياء قوانين مقبورة منذ مئات السنين ليحكم بها على فضيلة الشيخ بالسجن مدى الحياة ..
والان وبعد ثلاثة عشر عاما في السجون الامريكية وقد اشتد به المرض ، ألا يحق لنا ، أن نطالب السلطات المصرية أن تتدخل لإعادة الشيخ والعالم المصري إلى بلده ووطنه ، وليقض أيامه الباقية ولو في سجون مصر بين أهله وقومه ، بدلا من أن يقضى هناك وحيدا غريبا .
وإلى شيوخ الأزهر ، هل من صرخة وكلمة لهذا العالم الأزهرى تقابلون بها الله وقد دعيتم لنصرة أخيكم

وإلى الهيئات والجمعيات والحركات الاسلامية ، قضية الشيخ عمر قضية كل مسلم فهل من خطوة جادة لاستنقاذ الشيخ؟

وإلى منظمة المؤتمر الإسلامي والهيئات السياسية والحقوقية والانسانية هل نراكم أهلا لهذه النصره ؟
وإلى البلاد العربية حكومات وشعوبا هل من وقفة جادة مشرفة تكون لكم شرفا على مر التاريخ؟
وختاما إليك سيدي وشيخي ووالدي ، أعتذر إليك ، واعتذر إليك ، واعتذر إليك فلساني عاجز أن يخاطبك وقد تركناك ، وبدي عاجزة قد شلت عن نصرتك ، لا نملك إلا الدعاء (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) ، و الله ياشيخنا الكريم ما نسيناك ولن ننسك ياذن الله والله تعالى حسيبك ومولاك وهو أرحم بك من الخلق جميعا ، ولا نفقد الأمل والرجاء منه أبدا ، فإن كان من لقاء في هذه الفانية فذاك أعظم المنى وإن كانت الأخرى فنسأل الله تعالى أن يجمعنا وإياك في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل

لك الله يا شيخ عمر ، لك الله أيها الحبيب ... ابنك د. خالد فكري